وجوب السعي في الصلح بين المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن من أوجب الواجبات الشرعية التي تُقْضَى فيها غوالي الأوقات، وتُنْفَقُ فيها نفائس الأموال، ويُبْذَلُ فيها عظيمُ الجاه، ويُضَحَّى فيها بكل ممكن ومقدور، إن من أوجب تلك الواجبات السعيَ في الصلح بين المسلمين، وبين عباد الله المؤمنين، وبين أهل السنة أجمعين، وبين أتباع السلف الصالحين، في أي مكان كانوا كائنين، وفي أي زمن ووقت وحين، مصبحين كانوا أو مُظْهِرين أو مُمْسِين، وقد أمر الله المحسن الكريم عباده بإصلاح ذات بينهم فقال: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان فقال -وقوله الحق والصدق-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ولا يمتري مسلم عاقل في أن السعي في الصلح بين المسلمين هو من جنس التعاون على البر والتقوى، وأن السعي في بث روح الفرقة بين المسلمين هو من جنس التعاون

على الإثم والعدوان، وقد ذَيَّل الله الآية السابقة بالأمر بتقواه وبالتحذير من شدة عقابه.

وقد أمر الله مولانا الكريم بالإصلاح بين المؤمنين المقتتلين فقال -ونعم ما قال-: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فَتَرْكُ الباغي لبغيه ورجوعُه عنه إلى الحق سبيل إصلاح عظيم.

ثم أكَّد الله الأمر بالإصلاح بين المؤمنين فقال -جل شأنه-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فالإصلاح بين المؤمنين سبيل من سبل تقوى الله، وبتقوى الله تتحقق وتحصل رحمة الله للعبد، فالمصلحون بين المؤمنين مرحومون، والمفرقون بينهم معذَّبون، وقد قال -تعالى-: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فأهل الاختلاف معذبون، وأهل الاتفاق والوفاق مرحومون.

واعلم أنه يجب الإصلاح بين المؤمنين، ولو اقتتلوا بالكلام واللسان دون السيف والسنان، فإن الاقتتال بالكلام داخل في جنس الاقتتال الذي أمر الله -تبارك وتعالى- بالإصلاح بين أهله، كما أن البغي يكون بالكلام كما يكون بالسلاح، بل قد يكون البغي بالكلام أشدَّ من البغي بالسنان، كَبَغْيِ البغاة من

الزنادقة والمنافقين على شرع الله كتابًا وسنة، ولأهل البدع نصيب من هذا البغي على الكتاب والسنة، ***فكيف إذا جمعوا بين البغي على الكتاب والسنة، والبغي على عباد الله بالسيف والسنان؟!***

ومن سعى بالصلح بين المسلمين فإن الله الكريم قد تكفل بحفظ أجره، وعدم إضاعته، يدل على ذلك محكم قوله -تقدست أسماؤه- حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ وهذا السياق يفيد عِظَمَ أجرِ هؤلاء المصلحين، ويدخل في عموم هذا الإصلاحِ الإصلاحُ بين المتخاصمين والمتهاجرين، وقد شرع الله الإصلاح بين الزوجين المختلفين، فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّه بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّه كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ وقد أخبر العلي العظيم في محكم التنزيل بخيرية الصلح بين الزوجين، فقال: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّه كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّه كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فالصلح بين الزوجين خير، ومن صوره وأمثلته أن تتنازل المرأة عن نوبتها من زوجها لضَرتها، فإن هذا التنازل منها خير من التفرق عنه بطلاق أو خُلْع، فكيف

بخيرية الإصلاح بين طوائفَ عظيمة من المسلمين؟! وقد ذكر الله في ذَيْل الآية الأخيرة هنا: أن الإصلاح والتقوى شرْط لحصول المغفرة والرحمة، فبالإصلاح بين المؤمنين مع تقوى الله تحصل المغفرة والرحمة لهؤلاء المصلحين المتقين كما سبق في آية هود ألا وهو قوله: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ والقرآن يصدق بعضه بعضًا.

وَبِتَرْكِ الإصلاح بين المؤمنين، وتركِ السعي في ذلك مع القدرة عليه، وتركِ تقواه -سبحانه- يحصل الحرمان للعبد من مغفرة الله ورحمته، فكيف بحرمان من أضاف إلى ذلك التركِ السعيَ في الوقيعة بين المؤمنين والتحريشِ بينهم، ونشرِ الأكاذيبِ والأراجيفِ في أوساطهم، والسعيَ بالنميمة للإفساد بينهم؟! إن مثل هذا أبعد ما يكون عن مغفرة الله ورحمته، فما أجلَّ الإصلاحَ بين المؤمنين!! وما أقبح التفريقَ والتحريشَ بينهم!! وقد ثبت في الصحيح قول النبي المصطفى، والرسول المجتبى، محمد المرتضى -صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا-: «**إن الشيطان قد أيس**» أي: يئس «**أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**» أي لم ييأس من ذلك التحريش، وهذا أمر واقع مشاهد محسوس ملموس.

فإياك أيها العبد أن تكون من جند إبليس الرجيم اللعين، وإياك أن تكون عونًا له على التفريق بين المؤمنين، وأمسك عليك لسانك إلا من خير، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما في الصحيح: «**من كان**

يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» وقال ربك -وهو خير القائلين-: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل الإيمان والتقوى والأمرِ بالصدقِ والمعروفِ والإصلاحِ بين الناس، وأن التفريق بين المؤمنين ليس من سبيل المؤمنين في شيء، وإنما هو من سبيل غير المؤمنين، ومن سبيل أهل العصيان وأهل البدع الضالين، فالتفريق بين المؤمنين هو من سبيل أهل الفرقة من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، ومن اسْتَنَّ بسنتهم واقتدى بهم من المسلمين، قال -تعالى-: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وقد ثبتت الأحاديث النبوية الشريفة المَنيفة بتفرق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وبتفرق النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وأن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة **وهي الجماعة**. فسبيل المؤمنين هو الجماعة، وسبيل غيرهم هو الافتراق والتفريق، وقد قال -عز من قائل- عن المنافقين المفرقين للمؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّه يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فالتفريق بين المؤمنين هو سبيل المنافقين سواء كان ذلك التفريق ببناء مسجدِ ضرارٍ، أو بغير ذلك من أسباب وأساليب التفريق التي يتخذها المبتدعون المفرقون لأمة محمد، كإنشاء ما يسمى بالأحزاب أو الفرق

والجماعات أو الجمعيات أو إيواء المبتدعة إلى مساجدهم ونشرهم جميعًا البدعةَ منها، فكم في مساجدهم من الضرار للمسلمين!! إلى غير ذلك من وسائلهم في التفريق وما أكثرها!!

ولذلك لا يجوز تمكين أحد من إقامة جماعة ثانية بعد جماعة الإمام الراتب على وجه التفريق بين المؤمنين قولًا واحدًا، فالمفرق بين المؤمنين متدنسٌ بِدَنَسِ وَنَجَسِ وَرِجْسِ التفريق، غيرُ متطهر من هذا الخلق الإبليسي.

وقد أمر الله عباده بالاعتصام بكتابه ودينه ونهاهم عن التفرق، والنهيُ عن التفرق يدل على النهي عن أسباب التفرق، كما يدل على النهي عن التفريق، وعن أسباب التفريق بين المؤمنين، والوسائل لها أحكام الغايات والمقاصد، قال -سبحانه-: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّه لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فالجماعة رحمة ونعمة وسكينة وطمأنينة، والفرقة عذاب ونقمة وشقاء وتعاسة، وقد صحح بعض أهل العلم قولَ النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**يد الله على الجماعة**» فإياك أيها العبد أن تكون خارجًا عن الجماعة، فإن الشيطان يفترسك، ولا تكن كقاصية الغنم، فإن الذئب يأكلها.

هذا، وقد تنازل **الحسن بن علي** -رضي الله عنه وعن أبيه- عن الخلافة **لمعاوية** -رضي الله عنه- فكان محمودًا على ذلك، إذ حقن الله بتنازله هذا دماء المسلمين، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وفي الصحيح قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بشأن **الحسن** سبطه -أي ابن بنته فاطمة -رضي الله عنها-: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» وقد كان -ولله الحمد-، فَ(لَعَلَّ) من رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- موجبة، وهو كلام أهل العلم، كما في كلامهم على شرح الحديث الذي في الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حيث قال مخاطبًا **عمرَ بنَ الخطاب** بشأن **حاطب بن أبي بلتعة** -رضي الله عنه-: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»

كما أن (لَعَلَّ) من الله موجبة، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إلى نظائر ذلك.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-: أن بعض الناس قال **للحسن** لما تنازل عن الخلافة **لمعاوية**: هذا عار، فقال له **الحسن**: **العار خير من النار**، قال ابن القيم: أما القول بأن النار خير من العار؛ فهذا قول الكفار.

فرحم الله عبدًا تنازل عما يجوز له التنازلُ عنه شرعًا، وعما يوجب التنازلُ عنه الصلحَ بين المسلمين، بما لا يوجبُ تنازلُه عما تنازل عنه عنه سَخَطَ الرب -سبحانه-.

واعلم -رحمك الله- أنه يجب ترك المستحب للواجب إذا لم يمكن الجمع بينهما، كما أنه يجب ترك الواجب للأوجب إذا لم يمكن الجمع بينهما.

وقد قال بعض أهل العلم: **ليس الفقيه من عرف الخير من الشر** -أي فهذا يعرفه كل أحد- **ولكن الفقيه من عرف خير الخيرين، وشَرَّ الشَّرَّيْن**، وعلى هذا تدور أدلة الشريعة وقواعدها المُسَلَّمَة.

هذا، ويجب على أهل السنة أن يشتغلوا بأهل البدع وأهل الكفر، وأن يكونوا يدًا واحدة على من سواهم، وأن يشتغلوا بغيرهم، وألا يَسْعَوْا في الأخذ بأسباب التفريق بينهم -أي بين أهل السنة-، وإن كان يجب عليهم أن يردوا على المبطلين والمخالفين من أهل السنة -ولو في بعض المسائل- باطلهم

ومخالفتهم، ولكن لا يجوز أن يكون شُغْلُهم الشاغلُ هو الاشتغالَ بأهل السنة، مع ترك أهل البدع يبيضون ويفرخون، ويسرحون ويمرحون، ويفسدون ويعبثون بالدين، **فما أكثر البدع!! وما أكثر المبتدعة!!** وما أحوج ذلك إلى تكاتف أهل السنة، وتكثيف جهودهم في الرد عليهم، بما يحتاج مثله إلى وقت طويل، **ولْيقدَّم الأولى فالأولى، والأوجبُ فالأوجب،** كما يجب القيام بما يجب القيام به من وظيفة الوقت قبل فوات وقتها، كما يجب أن تُنَزَّه مجالسُ أهل السنة ومساجدُهم ومجتمعاتُهم ومجامعُهم عن الطعن في أهل العلم العدول المرضيين، وعن الوقيعة فيهم، وعن غمزهم ولمزهم، وعن عيبهم وشينهم تصريحًا أو تلميحًا، وأن يؤخذ على أيدي أمثال هؤلاء، وأن يُعَنَّفُوا، وأن يُزْبَرُوا ويُنْهَرُوا ويُزْجَرُوا، وأن لا يُفْسَحَ لهم المجال للطعن في أهل العلم وتشويههم، فَحَقُّ أهل العلم على غيرهم أن يُعَظِّمُوهم ويُوَقِّرُوهم، وأن يُزَيِّنُوا بذكرهم مجالسهم، فلا يذكروهم إلا بكل حسن، ولا يذكروهم إلا بكل ثناء جميل، كما يجب نصر المظلوم بالدفاع عنه وعن حقه، ويجب نصر الظالم بحجزه عن الظلم، ورد ظلمه عليه أيًّا من كان، إذ لا تجوز المداهنة في دين الله -تبارك وتعالى-، ولا يجوز للعبد أن يكيل بمكيالين، ولا أن يَزِنَ بميزانين، فضلًا عن مكاييل وموازين، بل الواجب هو الكيل بمكيال الحق، وميزان القسط والعدل، وفي هذا اختبار وامتحان لكل من ادعى الإنصاف، ولا يقال: ***إن المظلوم يدافع عن نفسه***، بحيث يخلي العبد نفسه من واجب الانتصار للمظلومين، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد أمر بنصر

المظلوم، وقد أمر الله بالتعاون على البر والتقوى، وقد قال **حسان** -رضي الله عنه- مخاطبًا **أبا سفيان بنَ الحارث بنِ عبد المطلب** ابن عمِّ النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وذلك قبل أن يُسْلِم **أبو سفيان**:

وإن سَنام المجد من آل هاشـم بنو بنت مخزوم ووالدُك العبدُ

رواه مسلم في صحيحه برقم: (٦٣٩٣) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

وروى مسلم في صحيحه برقم: (٦٣٩٥) من حديث عائشة -رضي الله عنها- قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لحسان: «**إن رُوح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**».

وقالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: «**هجاهم حسان فشفى واشتفى**» قال حسان:

هجـــوتَ محمدًا فأجبتُ عنـه وعـــنـــد الله في ذاك الجـــزاء

... الأبيات، وهي في الصحيح، فأثبت النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في هذا الحديث منافحة حسان عن الله ورسوله، مع أن الله لا تضره معصية العاصين، ولا هجاء الهَجَّائين، وهو قادر على كل شيء، وعلى الانتقام من الظالمين.

هذا، والله -تبارك وتعالى- نفسُه يدافع عن المؤمنين قال -تعالى-:﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ وكم في كتاب الله من دفاع الله عن ملائكته، وأنبيائه ورسله، وعباده المؤمنين، وأوليائه الصالحين!!

وقد دافع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن أصحابه، فقال: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه**» قال ذلك لخالد بن الوليد لما سب عبدالرحمن بن عوف وكان بينهما شيء، ولا شك أن كليهما من الصحابة -رضي الله عنهم- ولكن عبدالرحمن بن عوف كان من السابقين الأولين.

وقد دافع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب: **فضائل الصحابة**، برقم: (٣٦٦١) بسنده إلى أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: كنت جالسًا عند النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إذ أقبل أبوبكر آخذًا بطرَف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**أمَّا صاحبكم فقد غامر**» فسلَّم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علَيَّ، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا، ثم إنَّ عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر،

فقال: أَثَمَّ **أبو بكر**؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فسلَّم، فجعل وجه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَتَمَعَّرُ، حتى أشفق **أبوبكر**، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبوبكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟**» مرتين، فما أوذي بعدها.

فهل يعتبر بمثل ذلك الحاطُّون على أهل العلم من أمثال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- الذي له قدم سَبْقٍ وصدق في الإسلام والسنة، والتمسك بهما والدفاع عنهما وعن أهلهما؟! ألا يجب رعاية حق مثل هذا الشيخ؟! أليس له من الحق مثلُ ما لإخوانه من العلماء، من أمثال ابن باز، والألباني، وابن عثيمين، والوادعي -رحمهم الله تعالى-؟!

وفي صحيح البخاري في كتاب: **فضائل الصحابة** تحت: **(باب مناقب عثمان ابن عفان)** برقم: (٣٦٩٦) قولُ **عثمان** -رضي الله عنه- بعد أن ذكر استجابتَه لله ورسوله، وإيمانَه بما بُعِثَ به، وهجرتَه الهجرتين، وصحبتَه رسولَ الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ومبايعتَه، قولُه: **فوالله ما عصيتُه**

ولا غششتُه حتى توفاه الله -عز وجل- ثم أبوبكر مثلُه، ثم عمر مثلُه، ثم اسْتُخْلِفْتُ، أوليس لي من الحق مثلُ الذي لهم؟!

وقال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مدافعًا عن عامر بن الأكوع -رضي الله عنه-: لمَّا قال بعضهم: ***(حَبِطَ عملُه)*** وذلك لما تناول عامر بسيفه ساق يهودي ليضربه، فارتد ذباب سيفه، إذ كان بسيفه قِصَرٌ فأصاب ركبته فمات منه، قال: **"كذب من قاله، إنَّ له لأجرين"** -وجمع بين إصبعيه- «**إنه لجاهد مجاهد قَلَّ عربي مشى بها مثلُه**» وذلك في غزوة خيبر، والحديث في مسلم في كتاب: **الجهاد والسير** برقم: (٤٦٦٨) وفي البخاري برقم: (٦١٤٨) إلى غير ذلك من دفاع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن المحق ونصره إياه، ورد خطأ المخطئ عليه، وما أكثر ذلك!!

وإذا كان لا يجوز تحقير آحاد المسلمين، فكيف بتحقير خواصهم وعلمائهم؟! وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما في صحيح مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب برقم: (٦٥٤١): «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذُله، ولا يحقِره، التقوى هاهنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «**بحَسْب امرئ من الشر أن يَحْقِر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمُه ومالُه وعرضُه**».

ولأن يخطئ العبد في الحكم على مبتدع بأنه سني أهون من أن يخطئ في الحكم على سني بأنه مبتدع.

ولأن يخطئ العبد في الحكم على كافر بأنه مسلم أهون من أن يخطئ في الحكم على مسلم بأنه كافر.

ولأن يخطئ العبد في الحكم للشخص بالعفو عنه أهون من أن يخطئ في الحكم عليه في العقوبة، وهكذا، وفي الصحيح قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**» وفي لفظ: «**إن رحمتي تغلب غضبي**».

إن هذه الأحاديث وأمثالها تكاد تذيب الجبال الرواسي، ***فكيف لا يَحمل مُثلها الحاطِّين على أهل العلم كيف لا يحملهم على إنزالهم أهلَ العلم منزلَتهم؟!***

وقد جاء عن بعض السلف قوله: **نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.**

هذا، ولَأَن يُخْطئ العبد في التجميع للمسلمين كأن يجمع بين سني وبدعي، ويُدْخِلَ البدعي في زمرة أهل السنة أهونُ من أن يخطئ في التفريق بين سني وسني، بحيث يخرج السني إلى زمرة أهل البدعة؛ لأن الأصل هو التجميع لا التفريق، فالأصل هو وجوب التجميع بين عموم المسلمين، ولا يجوز الخروج

عن هذا الأصل المتيقن إلا بيقين مثله أو أقوى منه، كما هو الشأن في وجوب ميز البدعة وأهلها من السنة وأهلها، وميز الباطل وأهله من الحق وأهله، وقد قال المولى -عز وجل-: ﴿لِيَمِيزَ اللَّه الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

ألا ترى أنه إذا شُك في وقوع الطلاق بُني على الأصل وهو بقاء الزوجية بين الزوجين؟! إذ إنَّ ثبوتَ الزوجية بين الزوجين أمر مُتَيَقَّنٌ، والطلاقَ مشكوك فيه، فلا يجوز تركُ المتيقن والعدولُ عنه للمشكوك فيه.

فحذارِ حذارِ من التعجل بالتفريق بين عباد الله المؤمنين بأمور يكون للعبد المفرق فيها أناة بشرع الله.

وقد ثبت في الصحيح ذهاب النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، وقد تراشقوا بالحجارة.

فيجب الإصلاح بين آحاد المسلمين ولو تراشقوا بالكلام فحسب، فكيف بالإصلاح بين خواص الناس من طلبة العلم وأهل العلم؟!

ويجب التسكين بين المؤمنين، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «... **وسَكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا**».

هذا، وقد كنت ناويًا من مدة ليست بالبعيدة أن أكتب في هذا الموضوع الجلل الخطير مقالًا -وهو أهل لأن يُكْتَبَ فيه مجلد كبير- فشجعني على التعجيل به رغبةٌ في ذلك عند غيري، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهذا جهد من مُقِلّ.

نسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعلنا وإياكم من الصالحين المصلحين بين عباده المؤمنين، والله يعلم المفسد من المصلح، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليمًا

وكتبه

أبو بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة المصري

أبو عبدالله

تم تحريره في يوم الأربعاء الموافق غُرَّة شهر رجب لسنة ثمان

وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة

والسلام